

# تأثير قادة المجتمع على السلام الاجتماعي في شمال سوريا

٢٤ أغسطس ٢٠٢٣



الصورة التقطت من قبل عبد القادر الحاج عثمان

منذ أن انزلق شمال غرب سوريا بعيدا عن سيطرة النظام السوري بعد وقت قصير من بدء الصراع، تولت السلطات العسكرية المعارضة دورا محوريا في العملية الإدارية وعملية صنع القرار في المنطقة. وهذا بدوره قيد إلى حد كبير دور قادة المجتمع الذين يمثلون تقليديا العائلات المحلية من ناحية، والمدينة كجبهة مدنية من ناحية أخرى.

تعتمد هذه المدونة التي كتبها **عبد القادر الحاج عثمان** على ما يقرب من ٢٠ مقابلة أجريت مع قادة المجتمع بين نوفمبر ٢٠٢٢ وفبراير ٢٠٢٣ للنظر في تأثير هذا التحول في السلطة على السلام الاجتماعي في شمال غرب سوريا، ولا سيما في مدينة أعزاز.

بالنسبة للكثيرين، أصبحت أعزاز-الواقعة في شمال حلب-عاصمة شمال غرب سوريا التي تسيطر عليها المعارضة. وبعيدا عن أهميتها الرمزية، أصبحت المدينة موطنًا لحوالي ٢٠٠,٠٠٠ سوري، كثير منهم نزحوا قسرا من مختلف المحافظات خلال النزاع. على مدى العقد الماضي، أصبح أعزاز نموذجا مصغرا لسوريا. أدى التعايش بين الثقافات والعادات المختلفة-القائم على التنوع الغني للمجتمعات السورية-إلى تطوير بيئة حرة وشاملة وآمنة مواتية للاستقرار الاجتماعي والاقتصادي النسبي في منتصف اضطرابات الحرب. وأخيرا، فإن أعزاز هي الشريان الرئيسي بين المناطق التي تسيطر عليها النظام السوري والمناطق التي يحكمها عدد من الجماعات المسلحة المعارضة، بما في ذلك الجيش الوطني (الجيش السوري الحر سابقا). في العديد من الجوانب، تعد أعزاز موقعا استراتيجيا وتربة خصبة محتملة للصراع.

وفقا لغالبية سكان أعزاز، تتميز المدينة تقليديا بتسامح شعبها وقدرتهم على حل المشاكل الأكثر تعقيدا. وقد عرفت هذه المهارة من خلال العبارة الشهيرة: "المشكلة الأكبر في المدينة تحل بقبلية الشارب"، في إشارة إلى أسلوب شعر الوجه من الأعيان والرؤساء (المخاتير باللغة العربية) ودورهم في حل النزاعات بالوسائل السلمية، والمصالحة. ومع ذلك، فإن التأثير المتزايد للجماعات المسلحة، الذي تفاقم بسبب اشتداد الصراع الإقليمي بين هذه الجماعات في أوائل عام ٢٠١٧، أثر سلبا على قدرة قادة المجتمع على الحفاظ على السلام المحلي.

استبدل القادة العسكريون قادة المجتمع على الساحة الاجتماعية بطريقتين. أولا، اكتسبوا التمثيل وتأثير الوساطة، بدعم من المختارين ذوي الخبرة. ثانيا، فقد قادة المجتمع المحلي السلطة والنفوذ المحليين في صنع القرار بشأن مشاريع البنية التحتية والخدمات الاجتماعية، مثل بناء الطرق الإسفلتية، والتوزيع العادل للمساعدات الإنسانية. يمكن تفسير هذا الانفصال التدريجي جزئيا من خلال عملية تشكيل المجالس المحلية والهيئات المدنية الإدارية في أعزاز. لا يتم تعيين أعضاء المجلس المحلي على أساس المكانة، أو الانتماء الأسري، أو الخبرة. بدلا من ذلك، فإن تشكيل المجالس المحلية هو نتيجة لصفقة النخبة المغلقة بين الأعيان المؤثرين والتجار والمسؤولين الأثراك، تحت إشراف السلطة العسكرية. ومع ذلك، فإن تناقص دور قادة المجتمع أمر مثير للقلق. في ضوء الحرب الوطنية المستمرة، وزيادة الفقر وضعف التعليم، تتزايد النزاعات المحلية والإقليمية، خاصة بين المجتمعات الأكثر ضعفا مثل النازحين في المخيمات.

## ولاية الوساطة لقادة المجتمع

ولد محمد موسى<sup>1</sup> في مدينة أعزاز. كمختار، تم تعيينه من قبل مجلس أعزاز المحلي لتمثيل أحد أحياء المدينة في القضايا المتعلقة بالخدمات العامة ووثائق الهوية وإيجار المنازل. كما لعب دوراً مهماً في حل النزاعات داخل الحي وخارجه. على سبيل المثال، في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠٢٢، تم تعيينه مع مختارين آخرين من قبل ثلاث عشائر – الدملخة والساب والغانم-لحل نزاع خلف عدة قتلى وجرحى. في هذه الحالة، تدخل محمد موسى في ولاية مكتب السلم الأهلي، على الرغم من تصاعد النزاع في نهاية المطاف واستلزم التدخل القضائي.

مكتب السلم الأهلي هو وحدة تابعة للمجلس السوري للعشائر والقبائل، ومقرها في قرية سلامة، على الحدود السورية التركية. يقدم المكتب الوساطة في النزاعات الأسرية والعشائرية قبل وصولها إلى القضاء. وبحسب سكرتير المكتب، عبد الله الحاج سعيد، فإن دور الأعيان لا يقتصر على الوساطة، بل يشمل أيضاً جمع الأموال لدفع الدية، وهي التعويض المدفوع لأسرة الضحية، أو أي تعويض عن الأضرار عندما يكون الطرف غير قادر مالياً على دفعها. كما يعزز قادة المجتمع السلام الاجتماعي من خلال المصالحة. يوضح مازن حسن، رئيس مكتب المصالحة في مجلس العشائر والعشائر السورية، أن المكتب هو الآلية المفضلة لحل النزاع. وبمرور الوقت، اكتسبت هذه الآلية التقليدية، إلى جانب تأثير الأعيان المحليين، ثقة المجتمعات التي تقبل مشاركة المكتب في نزاعاتها دون شروط مسبقة.

ومع ذلك، فإن تفويض الوساطة لقادة المجتمع له حدوده في القتال بين الفصائل التي تتطوي على اشتباكات بين الجماعات المسلحة. في شمال غرب سوريا، غالباً ما ترتبط مثل هذه النزاعات بالنزاعات العائلية. في يناير / كانون الثاني ٢٠٢٣، على سبيل المثال، شهدت مدينة أعزاز نزاعاً صغيراً بين رجال عسكريين، تحول فيما بعد إلى شجار عائلي بين عائلة العشوي وعائلات أخرى من قرية مناخ المجاورة. في غضون ساعات، توسعت إلى معركة إقليمية بين شعب أعزاز وشعب مناخ. يمكن تفسير هذا التصعيد بعاملين رئيسيين: الروابط القوية بين بعض الفصائل المسلحة وأفراد العائلات و/أو العشائر المهمة، وتأثير المجموعات العسكرية الكبيرة. نتيجة لذلك، يجذب الأعيان أحياناً إلى صراعات تشمل أسرهم أو عشيرتهم. هذه الظاهرة تجسدها عشيرة الموالي التي يعيش أفرادها في شمال غرب سوريا. في أغسطس ٢٠٢٢، واجهت الشرطة العسكرية بعض أفراد العشيرة الذين شاركوا في تجارة المخدرات في منطقة مايدانكا الجبلية. ونتيجة للاشتباكات، دعوا عشيرتهم، بما في ذلك رجالها المؤثرين، إلى الرد عسكرياً، مما دفع منطقة أعزاز وميدانكا وعفرين إلى نزاعات متفرقة.

## ولاية غير كاملة

على الرغم من دورهم المهم في حل النزاعات، غالباً ما يشعر قادة المجتمع في أعزاز بالأسف لأن المجلس المحلي فوض المهام الاجتماعية الأخرى التي اعتادوا القيام بها إلى جهات فاعلة أخرى. في الواقع، كان المجلس المحلي غير راغب في إعطاء سلطات واسعة للقادة المحليين في مجال توزيع الخدمات. وبدلاً من أن تكون هذه السياسة عملاً من أعمال التحدي، فإن هذه السياسة ترجع إلى عدم قدرة المجلس على اتباع سياسات الشفافية المالية والخدمية، والتي تخضع لإشراف المؤسسات التركية. وهذا واضح بشكل خاص في قطاع الإغاثة، الذي أصبح المصدر الرئيسي لبقاء السوريين وسط الصراع.

المختار أبو فراس، من مدينة أعزاز، قال لكاتب المدونة إنه فشل خمس مرات متتالية في الحصول على سلال الإغاثة من مكتب الإغاثة التابع لمجلس المدينة. أراد توزيع هذه السلال على العائلات الفقيرة والنازحة التي ليس لديها معيل. كما فشل أبو فراس في الحصول على بطاقة هوية شخصية لسكان الحي الذي يعيش فيه. قللت هذه الإخفاقات المتكررة من دوره الاجتماعي، بما في ذلك سلطته وشرعيته. وافترض أن الطابع غير الرسمي لطلبه يبرر رفض المجلس وجادل بأنه، كمقيم، يجب أن يعطى دوراً خاصاً في تقييم احتياجات السكان في حيه.

يأتي المختار محمود، وهو مختار في أعزاز، من إحدى أقدم العائلات في المدينة. وهو يعتقد أن قطاع الإغاثة يلعب دوراً رئيسياً في تعزيز التماسك الاجتماعي وتأجيج النزاعات المحلية. ولسوء الحظ، يقول إن المساعدات كانت عاملاً من العوامل التوتر في شمال غرب سوريا. ويؤدي إلى نزاعات بين النازحين والمجتمعات المضيفة، ويؤدي إلى تقادم النزاعات العائلية لأن أفرادها لا

<sup>1</sup> تم تغيير هذا الاسم المحدد لحماية الهوية. أعطى المشاركون الآخرون المذكورون في هذه المدونة موافقتهم على الكشف عن أسمائهم.

يتمتعون بفرص متساوية لتلقي المساعدات. وبما أن هذا التوزيع للمعونة يشرف عليه المجلس المحلي والمنظمات الإنسانية فقط، فإن قادة المجتمع المحلي لا يستطيعون منع ظهور مثل هذه التوترات ومعالجة المشكلة من مصدرها؛ فهم يتدخلون فقط للتوسط في النزاعات القائمة.

ويعيدا عن قطاع الإغاثة، فإن انتشارا تدخل السلطات التركية في جميع مجالات الحياة السياسية والإدارية في شمال غرب سوريا يحد بشكل كبير من دور قادة المجتمع. والجدير بالذكر أن أعضاء المجالس المحلية ورؤساء البلديات ورؤساء المؤسسات الرئيسية يتم تعيينهم بشكل مشترك من قبل فصائل محلية في الجيش الوطني بالتنسيق مع ولاية كيليس التركية-بناء على مصالحهم ورؤيتهم للمنطقة. ونتيجة لذلك، فإن المجالس المحلية في شمال غرب سوريا تابعة للولايات التركية والمسؤولون الأتراك مسؤولون بشكل مباشر عن السياسات العامة للمجالس. هذه الممارسات لا تقتصر فقط على قادة المجتمع المحلي، ولكن على الشعب السوري بشكل عام. في حين أن حكومات المعارضة في محافظة حلب هي المسؤولة من الناحية الفنية عن إدارة المنطقة، إلا أنها لا تملك أي صلة أو تأثير على الأرض. على سبيل المثال، في عام ٢٠١٩، اتخذت المجالس المحلية قرار حظر تداول العملة السورية في شمال غرب سوريا واستبدالها بالليرة التركية. صدر القرار دون الرجوع إلى وزارة المالية في الحكومة المؤقتة.

## تعزيز الأقسام

على الرغم من سلطتهم الاجتماعية الواضحة، فإن الدور الذي يلعبه قادة المجتمع يتميز بالعفوية والفوضى؛ هذا سيف ذو حدين. على الجانب الإيجابي، يمكنهم الانخراط في وساطة اجتماعية عفوية وغير متحيزة وتحكيم داخلي بين العائلات والعشائر. وسيعقد قادة المجتمع المحلي اجتماعات مصالحة في إحدى دور الضيافة للعائلات الرئيسية في المدينة، مثل دار ضيافة بني خالد ودار ضيافة بني خميس، والتي تستخدم لحل النزاعات بين المجتمعات المضيفة والنازحين في أعزاز. تستخدم هذه المنازل أيضا لاستقبال الوفود من خارج المدينة. في عام ٢٠٢١، استضاف بيت ضيافة بني خالد وفدا استثماريا أمريكيا سوريا بالتنسيق مع منظمة وحدة المجلس المحلي. وخلال الاجتماع، ناقش التجار وكبار الشخصيات حاجة المدينة للاستثمار الصناعي من قبل السوريين المقيمين في الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

على الجانب السلبي، يبدو أن قادة المجتمع غير قادرين على دمج الأشكال الحديثة للحكومة تحت رعاية تركيا، وبالتالي، الانخراط في الإدارة المدنية وتلبية احتياجات السكان. منذ عام ٢٠١٨، شهد أعزاز العديد من المظاهرات ضد المؤسسات الخدمية. والجدير بالذكر أن المتظاهرين اتهموا المجلس المحلي وشركة الطاقة والكهرباء إيه كيه إنرجي بالفساد والتحيز. أقاموا خيمة اعتصام بقيت لمدة ٤٠ يوما وانتهت بإقالة رئيس المجلس المحلي، محمد حاج علي، من قبل الإدارة العسكرية في أعزاز. بالإضافة إلى إحداث تغيير سياسي، أتاحت المظاهرات فرصة لفتح النقاش حول دور المختارين. في الواقع، لم يتمكن قادة المجتمع من حل النزاع، بسبب افتقارهم إلى التأثير والمشاركة في هذه القطاعات. ونتيجة لذلك، دعا رشيد زموت – أحد الشخصيات البارزة من عائلة زموت وقائد فصيل الجيش الشمالي – إلى عقد اجتماع في أغسطس ٢٠١٨. يهدف الاجتماع إلى توفير منصة لمناقشة الدور الاجتماعي لقادة المجتمع وضرورة تقرير المصير للهيئات الإدارية في أعزاز. لسوء الحظ، سلط الحدث الضوء على الانقسامات داخل العائلات المحلية المهمة على طول خطوط الولاء المعارضة ولم يتم التوصل إلى قرار.

كان فشل الاجتماع بمثابة تحول في التمثيل الاجتماعي في أعزاز. شكلت العائلات والعشائر مجموعات على وسائل التواصل الاجتماعي في محاولة لتمثيل أنفسهم والمطالبة بحقوقهم. ولدت هذه العملية العضوية شعب أعزاز المحترم، وهو تجمع يضم أكثر من مائة من القادة والشخصيات المحلية في المدينة. ومنذ ذلك الحين، أخذت المجموعة على عاتقها مهمة تمثيل سكان المدينة، وبالتالي توفير تمثيل بديل عن تمثيل المجلس المحلي. على سبيل المثال، يصدر بيان حول الأحداث التي تعتبر مهمة لسكان المدينة، مثل هجوم هيئة تحرير الشام الأخير على الفيلق الثالث في ريف أعزاز في الأيام الأولى من عام ٢٠٢٣. كما عقد الاجتماع مؤتمرا جمع بين الأعيان المحليين والقيادة العسكرية لمناقشة إدارة المدينة وخدماتها. وأظهر رصد مفصل لردود الفعل على الإنترنت بعد المؤتمر أن الغالبية العظمى من سكان المدينة لم يكونوا على علم بوجود التجمع وفضلوا في فهم الدور الذي يلعبونه. أسفرت دراسة استقصائية شملت ٥٠ شابا في أعزاز<sup>2</sup> عن نتائج مماثلة، حيث لم يظهر ٤٢ منهم أي علم بالتجمع ومهمته.

علاوة على ذلك، انسحب بعض الأعيان لاحقا من المجموعة. عندما قابلتهم لفهم فك ارتباطهم، ذكروا عدم فهم الدور الذي يجب أن يلعبوه داخل شعب أعزاز المحترم، وقدرتهم المحدودة على تغيير المدينة، وخوفهم من الصدام مع السلطات العسكرية. كل هذه العناصر

<sup>2</sup> أجرى الاستطلاع مكتب أعزاز الإعلامي في ديسمبر ٢٠٢٢؛ ولم ينشر بعد.

أدت إلى مزيد من التهميش كمثلين اجتماعيين وهددت مصالحهم الاقتصادية في المدينة. كما يوضح، مرة أخرى، مدى تغلغل السلطات العسكرية في الهياكل الأسرية والعشائرية في شمال غرب سوريا.

## تعزيز الدور الاجتماعي لقادة المجتمع

يجادل البعض بأن الاستقرار المالي لقادة المجتمع هو المفتاح لمساعدتهم على لعب دور في تقديم الخدمات لسكان المدينة. ومن شأن تمكين قادة المجتمع القوي أيضا أن يخفف الضغط الشعبي على المؤسسات العامة ويساهم في التماسك الاجتماعي من خلال تعزيز ثقة الناس وثقتهم في مؤسساتهم. تشير هذه الأصوات إلى أن المجلس المحلي في أعزاز يجب أن يقبل تفويض المخاطر وغيرهم من الأعيان، خاصة لتقييم الاحتياجات وتوزيع الخدمات، وتقديم تعويضات مالية مقابل خدماتهم. ومع ذلك، ظلت هذه الدعوات دون إجابة حيث يرى المجلس المحلي أن هذه الخدمات جهود تطوعية. يجادل المسؤولون الإداريون أيضا بأن العمل بدون تعويض مالي هو تقليديا شرط أساسي للإعلان عن نية المرء في الجلوس كمرشح بارز في المجلس المحلي .

ويواصل قادة المجتمعات المحلية، من جانبهم، القيام بحملات للقيام بدور أكبر في رصد أداء المجلس المحلي. بالإضافة إلى ضمان الخدمات والفرص العادلة لجميع العائلات، فقد وضعوا بصرهم على سياسة شفافة. ويشمل ذلك اختيار أعضاء المجالس المحلية لضمان أن تسود المؤهلات المهنية على الروابط مع الجهات الفاعلة المؤثرة مثل السلطات التركية والعسكرية.

على الرغم من جهودهم، أعلنت المدينة عن استعادة المجلس المحلي في أكتوبر ٢٠٢٢ وبرت استبعاد قادة المجتمع من صنع القرار مع الخوف من أن التمثيل الرسمي الأقوى من شأنه أن يغذي المطالب الشعبية ويساهم في تصعيد الخلافات داخل المدينة. لا يزال السلام الاجتماعي يمثل تحديا، حتى في أعزاز، وهي واحدة من آخر جزر الاستقرار والحرية المتبقية في بلد مزقه الحرب.

حول المدونة: تم تطوير هذه المدونة في إطار مشروع البحث ' السلام السوري: غير محلي، مفروض وغير شرعي؟ بقيادة الدكتورة جولين بوجوان في جامعة إدنبرة. ضمن هذا المشروع، قامت بوجوان وزملاؤها بتدريب عدد من الطلاب والباحثين الشباب على البحث الأكاديمي ومهارات الكتابة بهدف تعزيز التمكين الذاتي للأصوات المحلية السورية.

نبذة عن الكاتب: عبد القادر صحفي في شمال سوريا، يركز على التماسك المجتمعي وبناء السلام. وهو أيضا ناشط إعلامي يروج لوسائل الإعلام وحرية الصحافة وحقوقها في سوريا.

## حول المدونة

تم تطوير هذه المدونة في إطار مشروع البحث ' السلام السوري: غير محلي، مفروض وغير شرعي؟ بقيادة الدكتورة جولين بوجوان في جامعة إدنبرة. ضمن هذا المشروع، قامت بوجوان وزملاؤها بتدريب عدد من الطلاب والمهنيين الشباب على البحث الأكاديمي ومهارات الكتابة بهدف تعزيز التمكين الذاتي للأصوات المحلية السورية.

## نبذة عن الكاتب

عبد القادر الحاج عثمان صحفي في شمال سوريا، مع التركيز على التماسك المجتمعي وبناء السلام. وهو أيضا ناشط إعلامي يروج للإعلام وحرية الصحافة والحقوق في سوريا.